

الباب الثاني ع في علاج م ض القلب بالان

هذا الباب من أهم أبواب الكتاب^(١) وأعظمها نفعاً، والمتأخرون من أرباب السلوك لم يعتنوا به اعتناءهم بذكر النفس وعيوبها وآفاتهما، فإنهم توسعوا في ذلك، وقصروا في هذا الباب^(٢).

ومن تأمل القرآن والسنة وجد [اعتناءهما]^(٣) بذكر الشيطان وكيدته ومحاربتها؛ أكثر من ذكر النفس، فإن النفس المذمومة ذكرت في قوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [سورة يوسف: ٥٣]، واللومة في قوله: ﴿وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَمَةَ﴾ [سورة القيامة: ٢]، وذكرت النفس المذمومة في قوله: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [سورة النازعات: ٤٠]، وأما الشيطان؛ فذكر في عدة مواضع، وأفردت له سورة تامة^(٤)، فتحذير الرب تعالى لعباده منه^(٥) أكثر من تحذيره من النفس، وهذا هو الذي لا ينبغي غيره، فإن شر النفس وفسادها ينشأ من وسوسته، فهي مركبه، وموضع سره^(٦)، ومحل طاعته^(٧)، وقد أمر الله سبحانه بالاستعاذة منه عند قراءة القرآن وغير ذلك، وهذا لشدة الحاجة إلى التعوذ منه، ولم يأمر بالاستعاذة من النفس في موضع واحد، وإنما جاء الاستعاذة من شرها في خطبة الحاجة في قوله: ((ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا))^(٨) كما تقدم ذلك في الباب الذي قبله.

وقد جمع النبي ﷺ بين الاستعاذة من الأمرين؛ في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله علّمني شيئاً أقوله

(١) في (ش): [الأبواب].

(٢) سبق أن نقل ابن القيم في أول الباب الحادي عشر اتفاق السالكين إلى الله على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب، ولهذا اهتموا بهذا الأمر وتركوا ذكر الشيطان وكيدته ومحاربه.

(٣) في الأصل: [اعتناءهم]، والصواب ما أثبتته من النسختين، ليستقيم الكلام.

(٤) وهي سورة الناس.

(٥) في النسختين زيادة: [جاء].

(٦) في (ع): [شركه]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [سره] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.


(٧) (٤٣/ب).

(٨) سبق تخريجه في الباب السابق.

إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: قل: ((اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءاً، أو أجره إلى مسلم، قلّه إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعتك))^(١).

فقد تضمن هذا الحديث الشريف الاستعاذة من الشر وأسبابه وغايته، فإن الشر كله: إما أن يصدر من النفس، أو من الشيطان، وغايته: إما أن [تعود]^(٢) على العامل، أو على أخيه المسلم، فتضمن الحديث مصدري^(٣) الشر^(٤) [الذين]^(٥) يصدر عنهما، وغايته^(٦) اللتين يصل إليهما^(٧).

ف

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾  إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ

(١) أخرجه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله عنه أبو داود في كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح ح(٥٠٦٧)، والترمذي في كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب منه ح(٣٣٩٢)، والدارمي في كتاب الاستئذان باب ما يقول إذا أصبح ح(٢٦٨٩)، والإمام أحمد في المسند ح(٥١)، والطيالسي ح(٩)، وابن أبي شيبة ح(٢٦٥٢٣)، والبخاري في خلق أفعال العباد (٤٩)، وفي الأدب المفرد ح(١٢٠٣)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ح(١١)، وفي الكبرى ح(٧٧١٥)، وأبو يعلى ح(٧٧)، وابن حبان ح(٩٦٢)، والطبراني في الدعاء ح(٢٨٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة ح(٧٢٤)، وابن مندة في التوحيد ح(٢٠٣)، والحاكم في المستدرک ح(١٨٩٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات ح(٢٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/١٦٦)، والشجري في أماليه (١/٣١٢)، قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه إسناده النووي في الأذکار (٦٤)، والمنأوي في التيسير في شرح الجامع الصغير (٢/١٩٨)، والألباني في صحيح الأدب المفرد ح(١٢٠٢).

(٢) في الأصل و(ش): [يعود]، والصواب ما أثبتته من (ع)، ليستقيم الكلام..

(٣) في (ش): [مصدر].

(٤) في (ش) زيادة: [كله].

(٥) في الأصل و(ش): [الذين]، والصواب ما أثبتته من (ع)، ليستقيم الكلام.

(٦) في (ش): [وغايته].

(٧) قال ابن القيم في بدائع الفوائد (٢/٤٢٥): "فجمع الحديث مصادر الشر وموارده في أوجز لفظه وأخصره وأجمعه وأبينه"، وانظر: شفاء العليل (١٦٢).

سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ [سورة النحل: ٩٨-١٠٠].

ومعنى استعذ بالله: امتنع به^(٢)، واعتصم به، وألجأ إليه، ومصدره: العوذ، والعياذ، والمعاذ، وغالب استعماله في المستعاذ به^(٣)، ومنه قول النبي ﷺ: ((لقد عُذْتُ بِمَعَاذِ^(٤)))^(٥)، وأصل اللفظة: من اللجأ إلى الشيء، والاقتراب منه^(٦)، ومن كلام العرب: أطيّب اللحم عوده، أي: الذي قد عاذ بالعظم واتصل به^(٧)، وناقاة عائد: يعوذ بها ولدها^(٨)، وجمعها عُوذٌ ^(٩) كحُمْر^(١٠)، ومنه في حديث الحديبية: ((معهم العُوذُ المطافيل))^(١١)، والمطافيل: جمع مُطْفِلٍ، وهي الناقة التي معها فصيلها^(١٢)، قالت طائفة منهم^(١٣) صاحب جامع الأصول^(١٤): "استعار ذلك للنساء، أي معهم النساء [وأطفالهن]^(١٥)"^(١٦)، ولا حاجة إلى

(١) الآية في (ع) إلى قوله سبحانه: ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾

(٢) سقط قوله: [به] من (ع).

(٣) انظر: العين (٢٢٩/٢)، وتهذيب اللغة (٩٣/٣)، ومعجم مقاييس اللغة (١٨٣/٤).

(٤) في (ش): [بعاذ] وهو خطأ.

(٥) أخرجه من حديث أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه البخاري في كتاب الطلاق باب من طلق وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق ح (٤٩٥٦)، في قصة دخول النبي ﷺ على عمرة بنت الجون فقال لها: ((هي نفسك لي)) قالت: وهل تمب الملكة نفسها للسوقة! قال: فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن، فقالت: أعوذ بالله منك، فقال: ((قد عذت بمعاذ)) ثم خرج علينا، فقال: ((يا أبا أسيد اكسها رازقيتين، وألحقها بأهلها)).

(٦) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (١٨٣/٤): "العين والواو والذال أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الالتجاء إلى الشيء، ثم يحمل عليه كل شيء لصق بشيء أو لازمه".

(٧) انظر: جمهرة اللغة (٦٩٨/٢)، وتهذيب اللغة (١٢٤/٧)، والمخصص (٤٢٦/١).

(٨) فهي فاعل بمعنى مفعول، انظر: جمهرة اللغة (٦٩٨/٢)، وتهذيب اللغة (٩٤/٣)، والمخصص (٨٧/٥).

(٩) انظر: العين (٢٢٩/٢)، والكنز اللغوي (١٤٥) لابن السكيت، والمعاني الكبير (٨٩٨/٦).

(١٠) في (ش): [كحمر]، وهو تصحيف.

(١١) أخرجه من حديث المسور بن مخرمة الزهري ومروان بن الحكم البخاري في كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ح (٢٥٨١).

(١٢) انظر: العين (٢٤٨/١) جمهرة اللغة (٩٢٠/٢)، وتهذيب اللغة (٢٣٦/١٣).

(١٣) (٤٤/أ).

(١٤) هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، الشهير بابن

ذلك، بل اللفظ على حقيقته، أي قد خرجوا إليك بدواهم ومراكبهم، حتى أخرجوا معهم النوق التي معها أولادها^(٣).

فأمر سبحانه بالاستعاذة به^(٤) من الشيطان^(٥) عند قراءة القرآن، وفي ذلك وجوه:

منها: أن القرآن شفاء لما في الصدور، يُذهبُ ما^(٦) يلقىه الشيطان فيها من الوسواس^(٧)، والشهوات، والإرادات الفاسدة، فهو دواء لما أثره فيها الشيطان، فأمر أن [يطرد]^(٨) مادة الداء، ويخلى منه القلب، ليصادف الدواء محلاً خالياً، فيتمكن^(٩) منه، ويؤثر فيه، كما قيل^(١٠):

الأثير، ولد سنة (٥٤٤) هـ، صاحب المصنفات له (جامع الأصول في أحاديث الرسول) و(النهاية في غريب الحديث)، توفي بالموصل سنة (٦٠٦) هـ [انظر: وفيات الأعيان (١٤١/٤)، وسير أعلام النبلاء (٤٨٨/٢١)، وتذكرة الحفاظ (١٣٩٩/٤)].

- (١) في الأصل: [وأطفاهم]، والصواب ما أثبتته من النسختين، ليستقيم الكلام.
- (٢) جامع الأصول (٣٠٣/٨). معناه، ونص كلامه قال: "جمع مُطْفَل، وهي الناقة معها فصيلها، فاستعار ذلك للناس، أراد به النساء والصبيان"، وكذا اختاره في النهاية (٣١٨/٣)، وممن سبق باختياره: الواقدي في المغازي (٨٤/٢)، وابن المنذر في الأوسط (٣٠٢/١١)، ومحمد بن أبي نصر الحميدي في تفسير غريب ما في الصحيحين (٣٩٧)، ونسبه ابن الجوزي في غريب الحديث (١٣٤/٢) وفي كشف المشكل (٥٣/٤) لابن قتيبة، واختاره أيضاً ممن جاء بعده: عز الدين علي بن محمد ابن الأثير وهو المؤرخ (ت ٦٣٠ هـ) في أسد الغابة (٢٧٢/١)، وضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير وهو الكاتب (ت ٦٣٧ هـ) في المثل السائر (١٩٢/٢) وهما أشقاء صاحب جامع الأصول مجد الدين، وكذا اختاره ابن منظور في اللسان (٥٠٠/٣)، والخازن في تفسيره (٢١١/٦)، وغيرهم.
- (٣) وفسرها بذلك: القاضي عياض في مشارق الأنوار (٣٢١/١) (١٠٥/٢)، والسهيلي في الروض الأنف (٤٧٧/٦).

- (٤) سقط قوله: [به] من (ع).
- (٥) في (ع) زيادة: [الرحيم].
- (٦) في (ش): [يُذهب لما]، وفي (ع): [ويذهب بما].
- (٧) في النسختين: [الوسواس].
- (٨) في الأصل: [تطرد]، والصواب ما أثبتته من (ع)، وهي في (ش) معجمة بلا نقط.
- (٩) في (ع): [يتمكن].
- (١٠) البيت من الطويل اختلف في نسبته: ف قيل هو لقيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى أو مجنون بني عامر كما في الحيوان (١٦٩/١)، وروضة المحبين (١٣٨) لابن القيم، وقيل هو ليزيد بن الطثرية كما في محاضرات الأدباء

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فيجيء هذا الدواء الشافي إلى قلبٍ قد خلا من مزاحم ومضاد له، فينجع فيه.

ومنها: أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب، كما أن الماء مادة النبات، والشيطان نار يحرق^(١) النبات أولاً [فأولاً]^(٢)، فكلما أحس بنبات^(٣) الخير في القلب سعى في إفساده وإحراقه، فأمر أن يستعيز بالله منه؛ لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن. والفرق بين هذا الوجه والوجه الذي قبله: أن الاستعاذة في الوجه الأول لأجل [حصول]^(٤) فائدة القرآن، وفي الوجه الثاني لأجل بقائها وحفظها وثباتها، وكأن من قال: إن الاستعاذة بعد القراءة^(٥) لحظ هذا المعنى، وهو -نعم- والله^(٦) -ملحظٌ جيد، إلا أن السنة وآثار الصحابة إنما جاءت بالاستعاذة قبل الشروع في القراءة^(٧)، وهو قول جمهور الأمة من السلف والخلف^(٨)، وهي محصلة للأمرين^(٩).

ومنها: أن الملائكة تدنو من قارئ القرآن، وتستمع لقراءته، كما في حديث أسيد بن

(٥٥/٢)، ووفيات الأعيان (٣٧٠/٦)، وقيل هو لعبد السلام بن رغبان الحمصي المعروف بديك الجن كما في ديوانه (٢٨٤).

(١) في (ع): [تحرق].

(٢) في الأصل: [فأول]، والصواب ما أثبتته من (ع)، لأنه معطوف على منصوب.

(٣) في (ع): [نبات].

(٤) زيادة من النسختين، وليست في الأصل، وأثبتها ليستقيم الكلام.

(٥) في (ع): [القرآن].

(٦) في النسختين: [لعمركم].

(٧) في (ع): [القرآن]، وأما الجواب عن ظاهر الآية فقال ابن القيم في بدائع الفوائد (٢٠٣/١): "وأما قوله تعالى

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة النحل: ٩٨] فعلى ما ذكرنا من التعبير عن

إرادة الفعل بالفعل، هذا هو المشهور، وفيه وجه ألفت من هذا؛ وهو أن العرب تعبر بالفعل عن ابتداء الشروع فيه تارة، وتعبر عن انتهائه تارة، فيقولون: فعلت عند الشروع، وفعلت عند الفراغ، وهذا استعمال حقيقي، وعلى هذا فيكون معنى قرأت في الآية ابتداء الفعل، أي إذا شرعت وأخذت في القراءة فاستعذ، فالاستعاذة مرتبة على الشروع الذي هو مبادئ الفعل ومقدمته وطلبعته".

(٨) نسبه للجمهور: الجصاص (١٢/٥) في تفسيره، والثعلبي (٤١/٦)، والبغوي (٤٢/٥)، والرازي (٩٢/٢٠)،

والنوي في الأذكار (٣٧)، والخازن (١٥/١) في تفسيره، وابن جزري (١٦١/٢)، وابن كثير (١١١/١).

(٩) في (ش): [الأمرين].

حضير^(١) لما كان يقرأ، ورأى مثل الظُّلَّة، فيها مثل المصاييح، فقال النبي ﷺ: ((تلك الملائكة))^(٢)، والشيطان ضد الملك وعدوه، فأمر القارئ أن يطلب من الله مبادعة عدوه عنه^(٣)، حتى تحضره خاصته وملائكته، فهذه وليمة لا تجتمع^(٤) فيها الملائكة والشياطين.

ومنها: أن الشيطان يجلب على القارئ بخيِّله ورجله، حتى يشغله عن المقصود بالقرآن/^(٥)، وهو تدبره وتفهمه^(٦)، ومعرفة ما أراد به المتكلم^(٧) سبحانه، فيحرص بجهدته على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن، فلا يكمل انتفاع القارئ به، فأمر عند الشروع أن يستعيز بالله منه.

ومنها: أن القارئ مناجٍ لله بكلامه، ((والله تعالى أشدُّ أذناً^(٨) للقارئ الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة^(٩) إلى قينته))^(١٠)، والشيطان إنما قرآنه الشعر والغناء، فأمر

(١) أسيد بن حضير بن سمالك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأوسي، كنيته: أبو يحيى، وقيل: أبو عتيك، وقيل: أبو الحضير - الأنصاري، صحابي جليل، من سادة الأنصار، شهد البيعتين وبدراً، روت عنه عائشة وابن عمر وابن أبي ليلى، توفي بالمدينة سنة (٢٠) هـ، وصلى عليه عمر بن الخطاب ودفن بالبقيع [انظر: الطبقات الكبرى (٦٠٣/٣)، التاريخ الكبير (٤٧/٢)، والجرح والتعديل (٣١٠/٢)].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ح (٤٧٣٠)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب نزول السكينة لقراءة القرآن ح (٧٩٦).

(٣) في (ع): [منه].

(٤) في (ع): [يجتمع].

(٥) (٤٤/ب)

(٦) في (ع): [تفهمه وتدبره] بالتقدم والتأخير.

(٧) في (ع) زيادة: [به].

(٨) أي استماعاً، ومنه قوله ﷺ عند البخاري ح (٧١٠٥) ومسلم ح (٧٩٢) ((ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به)) أي: ما استمع [انظر: فضائل القرآن (١٦٢) وغريب الحديث (١٣٨/٢) كلاهما لأبي عبيد، وشرح مشكل الآثار (٣٤٦/٣)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٥/٢)، وتهذيب اللغة (١٥/١٥)].

(٩) هي الأمة، واشتهر عند العامة أنها: الأمة المغنية، والصواب الأول [انظر: العين (٢١٩/٥)، وغريب الحديث (١٣٢/٤) لأبي عبيد، وتهذيب اللغة (٢٤٢/٩)].

(١٠) أخرجه من حديث فضالة بن عبيد بن عبيد بن مسعود ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب في حسن الصوت بالقرآن ح (١٣٤٠)، والإمام أحمد في المسند ح (٢٣٩٩٢) (٢٤٠٠٢)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (١٦١) - (١٦٢)، وسعيد بن منصور في سننه (بتحقيق: د/الحميد) ح (١٣٠)، والبخاري في التاريخ الكبير (١٢٤/٧)،

القارئ أن يطرده بالاستعاذة عند مناجاته لله، واستماع الرب^(١) قراءته.
ومنها: أن الله سبحانه أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمى ألقى الشيطان في أمنيته^(٢)، والسلف كلهم على أن المعنى: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته^(٣)، قال الشاعر في عثمان^(٤):

وابن حبان ح(٧٥٤)، والطبراني في الكبير (٧٧٢)، وابن بطة في الإبانة (تنمة الرد على الجهمية) ح(٩٢)، والحاكم في المستدرک ح(٢٠٩٧)، والبيهقي في الشعب ح(٢١٤٤)، وفي الكبرى ح(٢٠٨٤٠) (٢٠٨٤١)، والسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء (٩٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٢١/٦١)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: بل هو منقطع، وجود إسناده ابن كثير في فضائل القرآن (١٠٦)، وضعفه الألباني في الضعيفة ح(٢٩٥١) لجهالة ميسرة مولى فضالة بن عبيد.
 (١) سقط قوله: [الرب] من (ش).

(٢) قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيْكَتَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الحج: ٥٢].

(٣) في النسختين زيادة: [كما]، وهذا القول مروى عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد والضحاك كما أخرجه الطبري (١٩٠/١٧)، واختاره الخليل في العين (٣٩٠/٨)، وأخرجه ابن هشام في السيرة النبوية (٧٤/٣) عن يونس بن حبيب وأبي عبيدة من أئمة اللغة، واختاره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (٢٩٤)، وفي تأويل مختلف الحديث (١٨١)، وتعلب في مجالسه (الجزء الثاني عشر) (٥٧٠/٢)، والطبري في تفسيره (١٩٠/١٧)، والزجاج (٤٣٣/٣) في معاني القرآن وإعرابه، وأبو بكر الأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس (١٥٠/٢)، والسجستاني في غريب القرآن (٤٨)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٥٩)، والسمرقندي في تفسيره (٤٦٥/٢)، والخطابي في غريب الحديث (١٠١/٣)، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة (٢٧٧/٥)، والمقرئ في الناسخ والمنسوخ (١٢٢)، والثعلبي في تفسيره (٢٢٣/١)، وابن بطلان في شرح البخاري (٥٧/٣)، وابن سيدة في المحكم (٥١١/١٠)، والراغب في المفردات (٤٧٦)، والبغوي في تفسيره (١١٤/١)، وابن العربي (٤٤/١)، والقرطبي (٦/٢)، وشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٨١/٢١)، ونسبه للأكثر النحاس في الناسخ والمنسوخ (٥٧٤)، والثعلبي في تفسيره (٣٠/٧)، والسمعاني (٤٤٧/٣)، والبغوي (٣٩٤/٥)، وابن الجوزي (٤٤١/٥)، والرازي (١٢٣/٣)، والخازن (٢٣/٥).

(٤) البيت من الطويل قيل في عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد قتله، وقائله هو: كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، كما في النكت والعيون (١٥٠/١) للماوردي، والحرر الوجيز (١٦٩/١) لابن عطية، والجامع لأحكام القرآن (٦/٢) للقرطبي، ونسبه الرازي في تفسيره (٤٥/٢٣) وأبو حيان في تفسيره (٣٥٣/٦) لحيان بن ثابت رضي الله عنه.

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره [لاقي] (١) حمام المقادر فإذا كان هذا فعله مع الرسل؛ فكيف بغيرهم، ولهذا يغلط القارئ تارة، ويخبط عليه القراءة، ويشوشها عليه، فيخبط عليه لسانه، أو يشوش عليه فهمه وقلبه، فإذا حضر عند القراءة لم يعدم منه القارئ هذا [أو] (٢) هذا، وربما جمعهما (٣) له، فكان من أهم الأمور: استعاذته (٤) بالله منه (٥) عند القراءة (٦).

ومنها: أن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهتم بالخير أو (٧) يدخل فيه، فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه، وفي الصحيح عنه عليه السلام: ((إن شيطاننا تفلت عليّ البارحة فأراد أن يقطع عليّ صلاتي الحديث)) (٨)، وكلما كان الفعل أنفع للعبد، وأحب إلى الله؛ كان اعتراض الشيطان له أكثر، وفي مسند الإمام أحمد من حديث سيرة بن أبي (٩) الفاكه (١٠) أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق

(١) في الأصل: [لاقي]، والصواب ما أثبتته من النسختين، وكذا في العين (٣٩٠/٨)، والزاهر (١٥٠/٢)، ومعجم مقاييس اللغة (٢٧٧/٥)، وتفسير الثعلبي (٢٢٣/١).

(٢) في الأصل [و]، والصواب ما أثبتته من النسختين لدلالة السياق.

(٣) في (ع): [جمعها].

(٤) في (ش): [الاستعاذة]، وفي (ع): [استعاذة].

(٥) سقط قوله: [منه] من (ع).

(٦) ومن ذكر هذه العلة: الرازي في تفسيره (٥٨/١) (٩٢/٢٠)، والقرطبي (٨٨/١).

(٧) في (ش): [و].

(٨) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه البخاري كتاب الصلاة باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد ح (٤٤٩)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة ح (٥٤١)، ولفظ البخاري: ((إن عفريتاً من الجن تفلت عليّ البارحة -أو كلمة نحوها- ليقطع عليّ الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان عليه السلام ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [سورة ص: ٣٥]) قال روح: فردّه خاسئاً.

(٩) سقط قوله: [أي] من (ش).

(١٠) سيرة بن أبي الفاكه، ويقال: ابن الفاكه، ويقال: ابن أبي الفاكهة، ويقال: ابن الفاكهة، صحابي جليل، نزل الكوفة، ليس له إلا هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، روى عنه سالم بن أبي الجعد وعمارة بن خزيمة بن ثابت [انظر: التاريخ الكبير (١٨٧/٤)، والجرح والتعديل (٢٩٥/٤)، والثقات (١٧٦/٣) لابن حبان].

الإسلام، فقال: أئسلم وتذر دينك ودين آبائك^(١)؟ فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: أئتهاجر وتذر أرضك وسماؤك؟ وإنما مثل المهاجر كالفرس^(٢) في الطول، فعصاه وهاجر^(٣)، ثم قعد له بطريق الجهاد، وهو^(٤) جهاد^(٥) النفس والمال، فقال: تقاتل^(٦) فتقتل فتتكح المرأة ويُقسم^(٧) المال^(٨).

فالشيطان بالرصد للإنسان على طريق كل خير، وقال منصور عن مجاهد: "ما من رفقة تخرج إلى مكة إلا جهز معهم إبليس مثل عدتهم" رواه ابن أبي حاتم في تفسيره^(٩). فهو بالرصد، ولا سيما^(١٠) عند قراءة القرآن، فأمر سبحانه العبد أن يحارب عدوه الذي يقطع عليه الطريق، ويستعيذ بالله منه أولاً، ثم يأخذ في السير، كما أن المسافر إذا عرض له قاطع طريق اشتغل بدفعه، ثم اندفع في سيره.

(١) في المسند زيادة: (وآباء أبيك).

(٢) في المسند: (كمثل الفرس).

(٣) في (ع): [فهاجر] وهكذا في المسند.

(٤) في المسند: (فقال له: هو جهد النفس...).

(٥) في (ش): [عبيد]، وليس في المسند.

(٦) في المسند: (والمال، فتقاتل فتقتل...).

(٧) في النسختين: [ويغنم]، وفي المسند كالأصل.

(٨) وتام الحديث في المسند: ((قال: فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو قتل كان حقاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة))، وقد أخرجه الإمام أحمد في المسند ح (١٦٠٠٠)، والنسائي في كتاب الجهاد باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد ح (٣١٣٤)، وابن أبي شيبه ح (١٩٣٢٩)، والبخاري في التاريخ الكبير (١٨٧/٤)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني ح (١٠٤٣)، والنسائي في الكبرى ح (٤٣٤٢)، وابن قانع في معجم الصحابة (٣٠٣/١)، وابن حبان ح (٤٥٩٣)، والطبراني في الكبير ح (٦٥٥٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ح (٣٥٩٠)، والبيهقي في الشعب ح (٤٢٤٦)، وصححه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩٦/٨)، وصحح إسناده العراقي في المغني عن حمل الأسفار ح (٢٦٢٨)، وحسن إسناده ابن حجر في الإصابة (٣١/٣) وقال: "إلا إن في إسناده اختلافاً"، وقال الألباني في الصحيحة ح (٢٩٧٩): "وهذا إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضر"، وذكر إن الاختلاف -الذي أشار إليه ابن حجر- في إسناده؛ مرجوح لا يؤثر.

(٩) لم أقف عليه عند ابن أبي حاتم، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤٢٦/٣) إلى ابن المنذر.

(١٠) (٤٥/أ).

ومنها: أن الاستعاذة قبل القراءة عنوان وإعلام بأن المأتي به بعدها القرآن، ولهذا لم تُشرع الاستعاذة بين يدي كلام غيره، بل الاستعاذة مقدمة وتنبيه للسامع أن الذي يأتي بعدها هو التلاوة، فإذا سمع السامع الاستعاذة؛ استعد لاستماع كلام الله، ثم شرع ذلك للقارئ وإن كان [وحده]^(١)، لما ذكرنا^(٢) من الحكم وغيرها، فهذه بعض فوائد الاستعاذة.

وقد^(٣) قال أحمد في رواية حنبل^(٤): لا يقرأ في صلاة ولا غير صلاة إلا استعاذ، لقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة النحل: ٩٨]، وقال في رواية ابن [مشيش]^(٥): كلما قرأ يستعيز^(٦)، وقال عبد الله بن أحمد^(٧): سمعت أبي إذا قرأ استعاذ، يقول^(٨): أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم^(٩).

(١) في الأصل [يعده] والصواب ما أثبتته من النسختين، ليستقيم المعنى.

(٢) في (ع): [ذكرناه].

(٣) سقط قوله: [قد] من (ش).

(٤) حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد أبو علي الشيباني، ابن عم الإمام أحمد، من كبار أصحاب الإمام أحمد، وأحد رواة المسائل، ثقة روى عن الإمام أحمد وأبي داود الطيالسي، وروى عنه أبو بكر الخلال ويحيى بن صاعد، له كتاب (الفتن)، توفي بواسط سنة (٢٧٣) هـ وقد قارب الثمانين عاماً [انظر: الجرح والتعديل (٣/٣٢٠)، وتاريخ بغداد (٨/٢٨٦)، وطبقات الحنابلة (١/٤٣١)].

(٥) في الأصل: [مشيش]، والصواب ما أثبتته من النسختين، ومن الإكمال (٧/١٩٦) لابن ماكولا، وهو محمد بن موسى بن مشيش أبو جعفر البغدادي، مستملي أبي عبد الله الإمام أحمد، وجاره، كان من كبار أصحابه ومتقدميهم، وأحد رواة المسائل [انظر: تاريخ بغداد (٣/٢٤٠)، والإكمال (٧/١٩٦)، وطبقات الحنابلة (١/٣٢٣)].

(٦) انظر: مسائل الإمام أحمد برواية المروزي (٢/٧٢٠-٧٢١) في موافقته لقول سفيان: "إنما يستعيز من يقرأ".

(٧) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الرحمن البغدادي، ولد سنة (٢١٣) هـ، ثقة روى عن أبيه ويحيى بن معين، وروى عنه أبو القاسم البغوي ويحيى بن صاعد، أحد رواة المسائل عن الإمام أحمد، وهو أكثر من سمع من الإمام أحمد، له كتاب (السنة) و(المسائل)، توفي ببغداد سنة (٢٩٠) هـ، وعمره (٧٧) سنة [انظر: الجرح والتعديل (٥/٧)، وتاريخ بغداد (٩/٣٧٥)، وطبقات الحنابلة (١/١٨٠)].

(٨) في (ع): [قال]، ولفظ المسند وغيره: [يقول] كالأصل.

(٩) مسائل الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله (١٣١)، وفي روى عنه عبد الله في المسائل (٧٦) قال أحمد: "أختار افتتاح الصلاة ب(سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك) أعوذ بالله من الشيطان

وفي المسند والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((كان النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة استفتح، ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: من همزه ونفخه ونفثه))^(١).

وقال ابن المنذر^(٢): "جاء عن النبي ﷺ أنه كان يقول قبل القراءة: ((أعوذ بالله من

الرجيم، إن الله هو السميع العليم، هذا أعجب إلي"، وفي الزهد للإمام أحمد (٢٤٩) قول عبد الله بن أحمد: "وعلمي أبي هكذا"، لكنه قال: (أعوذ بالسميع العليم)، ونقل ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٤٩٠) وابن قدامة في المغني (٢٨٣/١) وابن القيم في البدائع (٦٠٢/٣) من رواية حنبل عن أحمد أنه كان يقول في الاستعاذة: "أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم".

(١) أخرجه -بزيادة قوله: أعوذ...- أبو داود في كتاب الصلاة باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم بحمدك ح(٧٧٥)، والترمذي في كتاب الصلاة باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ح(٢٤٢)، والدارمي في كتاب الصلاة باب ما يقال بعد افتتاح الصلاة ح(١٢٣٩)، والإمام أحمد في المسند ح(١١٤٩١)، وفي الزهد (٢٢٩)، وابن خزيمة ح(٤٦٧)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٩٧/١)، والدارقطني في سننه (٢٩٨/١)، وتام في فوائده ح(١١٧)، والبيهقي في الكبرى ح(٢١٨٥)، والحديث جاء من طريق: جعفر بن سليمان الضبيعي عن علي بن علي الرفاعي عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري، قال أبو داود: "وهذا الحديث يقولون هو عن علي بن علي عن الحسن مرسلا الوهم من جعفر"، وقال الترمذي: "وحديث أبي سعيد أشهر حديث في هذا الباب... وقد تُكلم في إسناد حديث أبي سعيد، كان يحيى بن سعيد يتكلم في علي بن علي الرفاعي، وقال أحمد: لا يصح هذا الحديث"، وكلام أحمد جاء في مسائل عبد الله (٧٦) فقد نقل عن أبيه قوله: "وحديث أبي المتوكل عن أبي سعيد كأنه لم يحمّد إسناده"، وقال ابن خزيمة: "لا نعلم في هذا خيراً ثابتاً عن النبي ﷺ عند أهل المعرفة بالحديث؛ وأحسن إسناده نعلمه روي في هذا؛ خبر أبي المتوكل عن أبي سعيد"، وقال الألباني في الإرواء (٥١/٢-٥٢): -معلقاً على كلام الإمام أحمد- "قلت: ولعل هذا لا ينفي أن يكون حسناً، فإن رجاله كلهم ثقات، وعلى هذا وإن تكلم فيه يحيى بن سعيد فقد وثقه يحيى بن معين، ووكيع، وأبو زرعة، وقال شعبة: اذهبوا بنا إلى سيدنا وابن سيدنا علي بن علي الرفاعي، وقال أحمد: لم يكن به بأس إلا أنه رفع أحاديث، قلت: وهذا لا يوجب إهدار حديثه بل يحتج به حتى يظهر خطأه، وهنا ما روى شيئاً منكراً بل توبع عليه"، وقال أيضاً (٥٩/٢): "فهذه طرق يدل مجموعها على ثبوت زيادة (السميع العليم) في الاستعاذة، لاسيما وحديث أبي سعيد وحده حسن، فكيف إذا انضم إليه الأحاديث الأخرى؟ وجملة القول: إن الثابت عنه ﷺ في الاستعاذة ضم هذه الزيادة إليها أو التي قبلها -يعني قوله (همزه ونفخه ونفثه)- أو كليهما معاً على حديث أبي سعيد"، وقد ورد هذا الحديث عن جمع من الصحابة، قال الترمذي: "وفي الباب عن علي وعائشة وعبد الله بن مسعود وجابر وجبير بن مطعم وابن عمر".

(٢) محمد بن إبراهيم بن المنذر بن الجارود، أبو بكر النيسابوري، أحد الحفاظ المشهورين، والفقهاء المجتهدين، كان فقيه أهل مكة، روى عن الربيع بن سليمان، ومحمد بن إسماعيل الصائغ، ومحمد بن ميمون، وروى عنه أبو بكر

الشيطان الرجيم))^(١)، واختار الشافعي^(٢) وأبو حنيفة^(٣) والقاضي^(٤) في الجامع أنه يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم^(٥)، وهو رواية عن أحمد^(٦) لظاهر الآية، وحديث ابن المنذر. وعن أحمد من رواية عبدالله: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم^(٧)، لحديث

المقرئ، ومحمد الدمياطي، والحسن بن علي بن شعبان، له (الأوسط)، و(الإشراف على مذاهب الأشراف)، و(تفسير القرآن)، توفي بمكة سنة (٣١٩) هـ [انظر: طبقات الفقهاء (١١٨)، ووفيات الأعيان (٢٠٧/٤)، وسير أعلام النبلاء (٤٩٠/١٤)].

(١) أخرجه ابن المنذر في الأوسط (٨٧/٣) من نفس طريق حديث أبي سعيد الأنف الذكر، وأخرجه عبد الرزاق ح (٢٥٨٩)، وصححه الألباني في الإرواء ح (٣٤٢) بالزيادتين التي أشار إليهما في حديث أبي سعيد الأنف الذكر.

(٢) قال الشافعي في الأم (١٠٧/١): "وكان بعضهم يتعوذ حين يفتتح قبل أم القرآن، وبذلك أقول، وأحب أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وإذا استعاذ بالله من الشيطان الرجيم وأي كلام استعاذ به أجزاء، ويقول في أول ركعة".

(٣) النعمان بن ثابت مولى بني تميم، الكوفي، ولد بالكوفة سنة (٨٠) هـ، أحد الأئمة الأربعة المتبوعين، قال الإمام مسلم: "صاحب الرأي، مضطرب الحديث، ليس له كبير حديث صحيح"، توفي مسجوناً ببغداد سنة (١٥٠) هـ وله (٧٠) سنة [انظر: الطبقات الكبرى (٣٦٨/٦)، والطبقات لابن خياط (١٦٧)، والكنى والأسماء (٢٧٦/١) للإمام مسلم]، وانظر اختيار الأحناف في: بدائع الصنائع (٢٠٣/١)، وتبيين الحقائق (١١٢/١)، والبحر الرائق (٣٢٨/١).

(٤) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء، الشهير بالقاضي أبي يعلى، ولد سنة (٣٨٠) هـ، أحد أكبر فقهاء الحنابلة، ثقة روى عن علي بن عمر الحربي، وعلي بن معروف البزار، وروى عنه الخطيب البغدادي وأبو علي الأهوازي، له (إبطال التأويلات) و(الإيمان) توفي ببغداد سنة (٤٥٨) هـ [انظر: تاريخ بغداد (٢٥٦/٢)، وتاريخ دمشق (٣٥٤/٥٢)، والمتنظم (٩٨/١٦)]، ونسبه للقاضي في الجامع الصغير: الزركشي في شرحه لمختصر الخرق (١٧٥/١)، وكذا نسبها له ابن مفلح في المبدع شرح المقنع (٤٣٣/١).

(٥) سقط قوله: [واختار الشافعي وأبو حنيفة والقاضي في الجامع أنه يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم] من (ع).

(٦) انظر: المغني (٢٨٣/١)، وشرح الزركشي (١٧٥/١)، والمبدع (٤٣٣/١)، وقال: "ذكره في الكافي، وقدمه في الرعاية"، وانظر: الإنصاف (٤٧/٢) للمرادوي، وهو قول عن ابن الخطاب رضي الله عنه كما عند ابن أبي شيبة برقم (٢٤٥٥)، وابنه عبدالله كما عند ابن أبي شيبة برقم (٢٤٥٧) بناء على أحد الوجهين الراوي فقد قال: "كان يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أو أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم".

(٧) سبق عزوها.

أبي سعيد، وهو مذهب الحسن^(١) وابن سيرين^(٢)، ويدل عليه ما رواه أبو داود^(٣) في قصة الإفك: أن النبي ﷺ جلس وكشف عن وجهه وقال: ((أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم))^(٤).

وعن أحمد رواية أخرى أنه يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله^(٥) هو السميع العليم^(٦)، وبه قال سفيان الثوري^(٧)، ومسلم بن يسار^(٨)، واختاره القاضي في المجرد^(٩).

(١) أخرجه عن الحسن عبد الرزاق برقم (٢٥٩١)، وهو قول ابن عمر رضيهما الله عنهما كما عند ابن أبي شيبة برقم (٢٤٧٥).

(٢) لم أقف على من نسب هذه الصيغة من الاستعاذة لابن سيرين، ونسبه الشاشي في حلية العلماء (٨٤/٢) للحسن بن صالح بن حي.

(٣) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عامر الأزدي، أبو داود السجستاني، إمام أهل الحديث في زمانه، أصله من سجستان، ولد سنة (٢٠٢) هـ، ورحل في طلب العلم رحلة كبيرة، ثقة روى عن القعني، والإمام أحمد، ومسدد، وروى عنه ابنه أبو بكر بن أبي داود، والنسائي، والخلال، له (السنن) و(المراسيل) و(الزهد)، توفي بالبصرة سنة (٢٧٥) هـ [انظر: الجرح والتعديل (١٠١/٤)، والثقات (٢٨٢/٨)، تاريخ بغداد (٥٥/٩)].

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب من لم ير الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ح (٧٨٥)، والبيهقي في الكبرى ح (٢٢١٠)، من طريق حميد الأعرج المكي عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضيها الله عنهما وذكر الإفك، قالت: جلس رسول الله ﷺ وكشف عن وجهه وقال: ((أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم)) **﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾** [سورة النور: ١١ الآية])، قال أبو داود: "وهذا حديث منكر، قد روى هذا الحديث جماعة عن الزهري لم يذكروا هذا الكلام على هذا الشرح، وأخاف أن يكون أمر الاستعاذة من كلام حميد"، قال ابن القطان في بيان الوهم والإيهام -معلقا على كلام أبي داود- (٣٦٨/٣): "وليس فيه بيان علته، فإن حميد بن قيس أحد الثقات، ولا يضره الانفراد، وإنما علته أنه من رواية قطن بن نسير عن جعفر بن سليمان عن حميد، كذا رواه أبو داود عن قطن، وقطن وإن كان مسلم يروي عنه، فقد كان أبو زرعة يحمل عليه، ويقول: إنه روى عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس أحاديث مما أنكر عليه، وجعفر أيضا مختلف فيه، فليس ينبغي أن يحمل على حميد -وهو ثقة بلا خلاف- في شيء جاء به عنه من يختلف فيه"، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود ح (٧٨٥).

(٥) في (ش): [إنه].

(٦) سبق تخريجه عن أحمد.

(٧) انظر: حلية العلماء (٨٣/٢) للشاشي، وتفسير الرازي (٥٩/١)، والمجموع (٢٧١/٣)، وتفسير الخازن

(١٥/١)، وتفسير ابن كثير (١١٣/١)، وقال القرافي في الذخيرة (١٨١/٢) أنه اختار صيغة: أعوذ بالسميع

العليم من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم.

وابن عقيل^(٣)، لأن قوله: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة النحل: ٩٨] ظاهره أنه يُعَقَّبُ قوله: أعوذ بالله [يقوله: (٤)] من الشيطان الرجيم، وقوله في الآية (٥) الأخرى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة فصلت: ٣٦]/(٦) يقتضي أن يلحق^(٧) بالاستعاذة وصفه بأنه هو السميع العليم في جملة مستقلة بنفسها مؤكدة بحرف إن، لأنه سبحانه هكذا ذكره^(٨).

وقال إسحاق^(٩): "الذي اختاره ما ذكر عن النبي ﷺ: ((اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه))"^(١٠)، وقد جاء في الحديث تفسير ذلك قال^(١١):

(١) أخرجه ابن أبي شيبة برقم (٢٤٥٨)، والإمام أحمد في الزهد (٢٤٩) لكنه قال: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم.

(٢) انظر: شرح الزركشي (١٧٥/١)، والمبدع (٤٣٣/١)، والإنصاف (٤٧/٢).

(٣) انظر: شرح الزركشي (١٧٥/١)، والمبدع (٤٣٣/١)، والإنصاف (٤٧/٢)، وهو قول طاووس كما أخرجه عبد الرزاق برقم (٢٥٦٨) (٢٥٧٨)، وذكر السرخسي في المبسوط (١٣/١) أنه اختيار نافع وابن عامر والكسائي، ونسبه الرازي في تفسيره (٥٩/١) وابن كثير في تفسيره (١١٣/١) إلى الأوزاعي.

(٤) زيادة من النسختين، وليست في الأصل، وأثبتها ليستقيم الكلام.

(٥) سقط قوله: [الآية] من (ع).

(٦) (٤٥/ب)

(٧) في (ش): [تلحق].

(٨) قال أبو حيان في البحر المحيط (٤٤٥/٤): "واستنباط ذلك من الآية ضعيف لأن قوله: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ جرى مجرى التعليل لطلب الاستجارة بالله، أي: لا تستعذ بغيره فإنه هو السميع لما تقول، أو السميع لما تقوله الكفار فيك حين يرومون إغضابك، العليم بقصدك في الاستعاذة، أو العليم بما انطوت عليه ضمائرهم من الكيد لك، فهو ينصرك عليهم ويجيرك منهم".

(٩) هو ابن راهويه.

(١٠) انظر: الأوسط لابن المنذر (٨٨/٣): "وكان إسحاق يقول كالذي روي عن جبير بن مطعم، عن النبي وهو يقول: الله أكبر كبيراً ثلاثاً، الحمد لله كثيراً ثلاثاً، سبحانه الله بكراً وأصيلاً ثلاثاً، اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه، ونفخه، ونفثه"، وسبق تخريجه من حديث أبي سعيد، وأما حديث جبير بن مطعم فقد أخرجه داود في كتاب الصلاة باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ح (٧٦٤)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب الاستعاذة في الصلاة ح (٨٠٧)، والإمام أحمد في المسند ح (١٦٧٨٦)، والطيالسي (٩٤٧)، وابن الجعد ح (١٠٥)، وابن أبي شيبة ح (٢٣٩٦)، والبخاري ح (٣٤٤٦)، وأبو يعلى ح (٧٣٩٨)، وابن الجارود في المنتقى ح (١٨٠)، وابن خزيمة ح (٤٦٨)، وابن حبان ح (١٧٨٠)، والطبراني في الكبير ح (١٥٦٩)،

"وهمزته: الموتة، ونفخه: الكبّر، ونفثه: الشّعْر" (٢).

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (١٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿[سورة المؤمنون: ٩٧-٩٨]، والهمزات: جمع همزة كنمرات وغمرة (٣)، وأصل الهمز: الدفع، قال أبو عبيد (٤) عن الكسائي (١): "همزته ولمزته ولهزته و[نحزته] (٢): إذا

والحاكم في المستدرک ح (٨٥٨)، والبيهقي في الشعب ح (٣١٣٤)، وفي الكبرى ح (٢١٨٣)، والبغوي في شرح السنة ح (٥٧٥)، قال البزار: "هذا الحديث لا نعلم أحداً يرويه عن النبي إلا جبير بن مطعم، ولا نعلم له طريقاً إلا هذا الطريق، وقد اختلفوا في اسم العنزي الذي رواه عن نافع بن جبير، فقال شعبة: عن عمرو عن عاصم العنزي، قال ابن فضيل: عن حصين عن عمرو عن عباد بن عاصم، وقال زائدة: عن حصين عن عمرو عن عمار بن عاصم، والرجل ليس بمعروف، وإنما ذكرناه لأنه لا يروى هذا الكلام غيره عن نافع بن جبير عن أبيه، ولا عن غيره يروى أيضاً عن النبي"، قال ابن المنذر في الأوسط (٨٨/٣): "رواه عباد بن عاصم، وعاصم العنزي، وهما مجهولان لا يدري من هما"، وقال نحوه ابن خزيمة ح (٤٦٨)، وابن حبان في الثقات (٢٥٨/٧)، وقال الدارقطني في العلل (٤٢٧/١٣): "والصواب من ذلك قول من قال: عن عاصم العنزي عن نافع بن جبير عن أبيه عن النبي ﷺ"، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٥٣٤/٣)، وقال الألباني في أصل صفة صلاة النبي ﷺ (٢٧٣/١): "ورجاله رجال الشيخين؛ غير عاصم العنزي هذا، ولم يوثقه غير ابن حبان، ولم يرو عنه إلا اثنان؛ أحدهما: عمرو هذا، والآخر: محمد بن أبي إسماعيل، وقد قال البخاري: "لا يصح"، قلت: فمثله في الشواهد لا بأس به إن شاء الله تعالى"، وانظر: الإرواء (٥٥/٢).

(١) القائل هو عمرو بن مرة، وهو أحد رجال الإسناد، وقد ورد مصرحاً به في بعض روايات الحديث.
(٢) قال أبو عبيد في غريب الحديث (٧٨/٣): "فالموتة: الجنون، وإنما سماه همزا لأنه جعله من النخس والغمز، وكل شيء دفعته فقد همزته، وأما الشّعْر فإنه إنما سماه نفثاً لأنه كالشيء ينفثه الإنسان من فيه، مثل الرقية ونحوها، وليس معناه إلا الشّعْر الذي كان المشركون يقولونه في النبي عليه السلام وأصحابه، لأنه قد رويت عنه رخصة في الشعر من غير الشعر الذي قيل فيه وفي أصحابه، وأما الكبّر فإنما سُمي نفخاً لما يوسوس إليه الشيطان في نفسه، فيعظمها عنده، ويحقّر الناس في عينه، حتى يدخله لذلك الكبّر والتجبر والزهو"، ونقل الأزهري في تهذيب اللغة (٢٤٤/١٤) عن ابن شميل قال: "الموتة الذي يصرع من الجنون أو غيره ثم يفيق"، وعن اللحياني قال: "الموتة شبه الغشية".

(٣) في (ع): [كنمرات وغمرة]، وفي (ش): [كنمرات وغمرة]، وكلها على وزن همزات وهمزة، والغمرة: النكتة من أي لون كان، وتطلق على الشملة التي المخططة، وجمعها غمرات وغمار [انظر: جمهرة اللغة (٨٠٢/٢)، وتهذيب اللغة (١٥٨/١٥)، والمحكم (٢٦٨/١٠)].

(٤) القاسم بن سلام، أبو عبيد الخرساني ثم البغدادي، مولى بني أمية، وقيل مولى الأزدي، ثقة روى عن شريك ويحيى القطان، إمام العربية، له (العين) و(غريب الحديث)، توفي بمكة سنة (٢٢٤) هـ [انظر: الطبقات الكبرى

دفعته" (٣)، والتحقيق: أنه دفع بنخز وغمز، يشبه الطعن، فهو دفع خاص (٤)، فهمزات الشياطين: دفعهم الوسوس والإغواء إلى القلب (٥)، قال ابن عباس (٦) والحسن (٧): ﴿هَمَزَتِ الشَّيَاطِينُ﴾ "نزغاتهم ووسوسهم"، وفسرت همزاتهم: بنفخهم ونفثهم، هذا قول مجاهد (٨)، وفسرت [بخنقهم] (٩)، وهو الموتة التي تشبه الجنون. وظاهر الحديث أن الهمز نوع غير النفخ والنفث، وقد يقال -وهو الأظهر- إن همزات الشياطين إذا أفردت دخل فيها جميع إصابتهم لابن آدم، وإذا قرنت بالنفخ والنفث كانت نوعا خاصا كنظائر ذلك.

ثم قال: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [سورة المؤمنون: ٩٨]، وقال ابن زيد: "في

(٣٥٥/٧)، والتاريخ الكبير (١٧٢/٧)، والجرح والتعديل (١١١/٧).

(١) علي بن حمزة الكسائي، أبو الحسن الكوفي، أحد القراء السبعة، روى عن حمزة الزيات ومحمد بن سهل، وروى عن أبو عبيد وابن أبي ميسرة، إمام العربية، له (معاني القرآن) توفي بالري (١٨٩ هـ) [انظر: التاريخ الكبير (٢٦٨/٦)، والكنى والأسماء (٢١٨/١) للإمام مسلم، والجرح والتعديل (١٨٢/٦)].

(٢) في الأصل: [بهرته]، والصواب ما أثبتته من النسختين، ومن تهذيب اللغة (٩٦/٦)، وبهرته بمعنى دفعته ولكمته لكنها وردت من رواية أبي عبيد عن الأصمعي لا الكسائي وانظرها في: تهذيب اللغة (٩١/٦)، ولسان العرب (٤٠٧/٥).

(٣) لم أقف عليه في كتب أبي عبيد، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (٩٦/٦) (١٥١/١٣)، وابن منظور في اللسان (٤٠٦/٥).

(٤) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (٣٠٠): "نخسها وطعنها"، وذكر معنى الغمز والنخس أبو عبيد في غريب الحديث (٧٨/٣)، وابن الجوزي في غريب الحديث (٣٧٧/٢)، وابن الأثير في النهاية (٢٧٢/٥)، ولهذا قال السجستاني في غريب القرآن (٤٩٤): "وأصل الهمز الغمز، وقيل لبعض العرب: الفأرة تممز؟ فقال: السنور يهمزها"، وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (٦٥/٦): "الهاء والميم والزاء كلمة تدل على ضغط وعصر"، وانظر: تهذيب اللغة (٩٧/٦)، والمحكم (٢٤٢/٤).

(٥) وهو قول أهل المعاني كما نص عليه الثعلبي (٥٥/٧)، والبغوي (٤٢٨/٥).

(٦) لم أقف عليه مسندا، ونسب الثعلبي (٥٥/٧) والبغوي (٤٢٨/٥) لابن عباس قوله في تفسيرها: نزغاتهم.

(٧) لم أقف عليه مسندا، ونسب الثعلبي (٥٥/٧) للحسن قوله في تفسيرها: وسوسهم.

(٨) لم أقف عليه مسندا، وعزاه له الثعلبي (٥٥/٧).

(٩) في الأصل: [بخنقهم] و(ش): [بختفهم]، والصواب ما أثبتته من (ع)، وقد أخرجه الطبري (٥١/١٨) عن ابن زيد، ونسبه له الثعلبي (٥٥/٧).

أموري" (١)، وقال الكلبي: "عند تلاوة القرآن" (٢)، وقال عكرمة: "عند النزاع والسياق" (٣)، فأمره أن يستعيد من نوعي شرهم (٤)، إصابتهم له (٥) بالهمز، وقربهم ودنواهم منه.

فتضمنت الاستعادة أن لا يمسه ولا يقربوه، وذكر ذلك سبحانه عقب (٦) قوله:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٩٦]، فأمره أن يحترز من شر شياطين الإنس بدفع إساءتهم إليه بالتي هي أحسن، وأن يدفع شر شياطين الجن بالاستعادة منهم.

ونظير هذا قوله في الأعراف: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٩] فأمره بدفع شر الجاهلين بالإعراض عنهم، ثم أمره بدفع شر الشيطان بالاستعادة منه فقال: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٠].

ونظير ذلك [قوله] (٧) في سورة فصلت: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت: ٣٤] / (٨) فهذا دفع شر شيطان (٩) الإنس، ثم قال: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة فصلت: ٣٦] وقال (١٠) ههنا: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فأكد بـ(إن)، وبضمير الفصل، وأتى باللام في: السميع العليم، وقال في الأعراف: ﴿إِنَّهُ

(١) أخرجه الطبري (٥١/١٨).

(٢) لم أقف عليه مسندا، ونسبه في الكشف (٢٠٤/٣) إلى ابن عباس.

(٣) لم أقف عليه مسندا، وانظره: في الكشف (٢٠٤/٣).

(٤) في (ع): [شر].

(٥) سقط قوله: [له] من (ع).

(٦) في (ع): [عقيب].

(٧) زيادة من النسختين، وليست في الأصل، وأثبتها ليستقيم الكلام.

(٨) (٤٦/أ).

(٩) في النسختين: [لدفع شر شياطين].

(١٠) في (ع): [قال].

بـ(إن)، وبضمير الفصل، وأتى باللام في: السميع العليم، وقال في الأعراف: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وسر ذلك -والله أعلم- أنه حيث اقتصر على مجرد الاسم؛ ولم يؤكد؛ أريد إثبات مجرد الوصف الكافي في الاستعادة، والإخبار أنه سبحانه يسمع ويعلم، فيسمع استعادتكم؛ فيحيبك^(١)، ويعلم ما تستعيد منه؛ فيدفعه عنك، فالسمع لكلام المستعيد، والعلم لفعل^(٢) المستعاد منه، وبذلك يحصل مقصود الاستعادة، وهذا المعنى شامل للموضوعين.

وامتاز المذكور في فصلت بمزيد التأكيد والتعريف والتخصيص؛ لأن سياق ذلك بعد إنكاره سبحانه على الذين شكوا في سمعه لقولهم، وعلمهم به، كما ثبت^(٣) في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال: ((اجتمع عند البيت ثلاثة نفر، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي^(٤)، كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فقالوا: أترون الله يسمع ما نقول؟ فقال أحدهم: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، فقال الآخر: إن سمع^(٥) بعضه سمعه^(٦) كله^(٧)، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٨) إلى قوله ﴿مَنْ الْخَسِرِينَ﴾ [سورة فصلت: ٢٢-٢٣] ^(٩) فجاء التوكيد^(١) في قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ في

(١) وهذا نفس تقرير ابن القيم في بدائع الفوائد (٤٦٣/٢، ٤٩٠) بأن المراد بالسمع هنا السمع الخاص وهو سمع الإجابة لا السمع العام.

(٢) في (ش): [لفصل].

(٣) سقط قوله: [ثبت] من (ع).

(٤) الشك في هذا من الراوي، وهو كذا في الصحيحين.

(٥) في (ش): [يسمع].

(٦) في (ش): [سمع].

(٧) لفظ الصحيحين: ((وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا)).

(٨) جزء الآية في (ع) إلى قوله سبحانه: ﴿سَمْعُكُمْ﴾ [سورة فصلت: ٢٢-٢٣].

(٩) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنْ

الْخَسِرِينَ﴾ ح (٤٥٣٩)، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ح (٧٠٨٣)، ومسلم في كتاب

سياق هذا الإنكار، أي: هو وحده الذي له كمال قوة السمع وإحاطة العلم، لا كما يظن^(٢) به أعداؤه الجاهلون: أنه لا يسمع إن أخفوا، وأنه لا يعلم كثيرا مما يعملون، وحسن ذلك أيضا: أن المأمور به في سورة فصلت دفع إساءتهم إليه بإحسانه إليهم، وذلك أشق على النفوس من مجرد الإعراض عنهم؛ ولهذا عقبه بقوله: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة فصلت: ٣٥] فحسن التأكيد لحاجة المستعيز^(٣).

وأيضا فإن السياق ههنا لإثبات صفات كماله، وأدلة ثبوتها، وآيات ربوبيته، وشواهد توحيده، ولهذا عقب^(٤) ذلك بقوله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ [سورة فصلت: ٣٧]، وقوله^(٥): ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [سورة فصلت: ٣٩]، فأتى بأداة التعريف الدالة على أن من أسمائه السميع العليم، كما جاءت الأسماء الحسنى كلها معرفة^(٦).

والذي في الأعراف في سياق وعيد المشركين وإخوانهم من الشياطين، ووعد المستعيز بأن له رباً يسمع ويعلم، وآلهة المشركين الذين عبدوها من دونه؛ ليس لهم أعين يبصرون بها، ولا آذان يسمعون بها، فالله^(٧) سميع عليم، وألهمتهم لا تسمع ولا تبصر ولا تعلم، فكيف

صفات المنافقين وأحكامهم ح(٢٧٧٥).

(١) في (ش): [التأكيد].

(٢) في (ش): [تظن].

(٣) قال ابن القيم في بدائع الفوائد (٢/٤٩٠): "والشيطان لا يدع العبد يفعل هذا، بل يريه أن هذا ذل وعجز، ويسلط عليه عدوه، فيدعوه إلى الانتقام، ويزينه له، فإن عجز عنه، دعاه إلى الإعراض عنه، وأن لا يسيء إليه، ولا يُحسن، فلا يؤثر الإحسان إلى المسيء؛ إلا من خالفه، وآثر الله تعالى وما عنده على حظه العاجل، فكان المقام مقام تأكيد وتحريض".

(٤) (٤٦/ب).

(٥) في (ع): [وبقوله].

(٦) وهذه قاعدة في تمييز أسماء الله الحسنى وهي: أن ما جاء من أسماء الله تعالى في النصوص معرفٌ بآل فهو من أسمائه الحسنى، وهو يدل على اختصاصه به تعالى؛ إذا ورد عاماً غير مقيد، وانظر: مجموع الفتاوى (١٦/١١٢).

(١٧/١٤٢) (٢٠/٤٤٣).

(٧) في (ع): [فإنه].

يسوونها^(١) به في العبادة؟ فعلمت أنه لا يليق بهذا السياق غير التنكير^(٢)، كما لا يليق بذلك غير التعريف، والله أعلم بأسرار كلامه.

ولما كان المستعاذ منه في سورة حم المؤمن هو سوء^(٣) مجادلة الكفار في آياته، وما يترتب عليها من أفعالهم المرئية بالبصر؛ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيءِ آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة غافر: ٥٦] فإنه لما كان المستعاذ منه كلامه وأفعالهم المشاهدة عيانا قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وهناك المستعاذ منه غير مشاهد لنا؛ فإنه يرانا هو وقبيله من حيث لا نراه، بل هو معلوم بالإيمان وإخبار الله ورسوله.

ف

فالقرآن أرشد إلى دفع هذين العدوين بأسهل الطرق، بالاستعاذة والإعراض عن الجاهلين، ودفع إساءتهم بالإحسان، وأخبر عن عظم حظ من [لَقَاه] ^(٤) ذلك، فإنه ينال بذلك كف شر عدوه، وانقلابه صديقا، ومحبة الناس له، وثناءهم عليه، وقهر هواه، وسلامة قلبه من الغل والحقْد، وطمأنينة الناس - حتى عدوه - إليه، هذا غير ما يناله من كرامة الله، وحسن ثوابه، ورضاه عنه، وهذا غاية الحظ عاجلاً وآجلاً، ولما كان ذلك لا ينال إلا بالصبر قال: ﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [سورة فصلت: ٣٥]، فإن التَّنَزُّقَ ^(٥) الطائش لا يصبر

(١) في (ع): [تسوونها].

(٢) قال ابن القيم في بدائع الفوائد (٤٩١/٢): "وأما في سورة الأعراف، فإنه أمره أن يُعرض عن الجاهلين، وليس فيها الأمر بمقابلة إساءتهم بالإحسان، بل بالإعراض، وهذا سهل على النفوس غير مستعصٍ عليها، فليس حرص الشيطان وسعيه في دفع هذا؛ كحرصه على دفع المقابلة بالإحسان".

(٣) في (ع): [شر].

(٤) في الأصل: [كفاه]، والصواب ما أثبتته من النسختين، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة فصلت: ٣٥]، والسياق في الحديث عن آيات سورة فصلت.

(٥) التَّنَزُّقُ: الخفة والعجلة في جهل وحُمق [انظر: العين (٩٢/٥)، وإصلاح المنطق (١٩٦)]، وجمهرة اللغة (٨٢٣/٢).

عن (١) المقابلة.

ولما كان الغضب مركب الشيطان؛ فتتعاون (٢) النفس الغضبية والشيطان على النفس المطمئنة -التي تأمر بدفع الإساءة بالإحسان- أمر أن يعاونها بالاستعاذة (٣) منه، فتمد الاستعاذة للنفس المطمئنة، فتقوى على مقاومة جيش النفس الغضبية، ويأتي مدد الصبر الذي يكون النصر معه، وجاء مدد الإيمان والتوكل، فأبطل سلطان الشيطان، ف ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٩].

قال مجاهد (٤) وعكرمة (٥) والمفسرون: "ليس له (٦) حجة" (٧)، والصواب: أن يقال: ليس له طريق (٨) يتسلط به عليهم (٩)، لا من جهة الحجة، ولا من جهة القدرة (١)، فالقدرة

(١) في (ع): [على].

(٢) في (ش): [فيتعاون].

(٣) (٤٧/أ).

(٤) أخرجه عنه الطبري (١٧٤/١٤)، كما أخرجه الطبري عن السدي في الكلام على قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ [سورة الصافات: ٣٠]، ونسبه النحاس في إعراب القرآن (٤٣٣/٢) إلى سعيد بن جبير.

(٥) أخرجه الطبري (١٤٦/١٩) عنه، قال: "كل شيء في القرآن سلطان فهو حجة".

(٦) في (ش) زيادة: [سلطان].

(٧) وقال به ابن عباس رضي الله عنهما كما أخرج الصنعاني (٣٩٩/٢) والطبري (١٤٦/١٩) والخطيب في تاريخ بغداد (١٥١/١٠) من طريق عكرمة عن ابن عباس، وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره (٤٤١/٢) وقال ابن حجر في فتح الباري (٣٩١/٨): "على شرط الصحيح"، وأخرجه الطبري (١٤٦/١٩) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: "كل سلطان في القرآن فهو حجة"، وذكره البخاري في صحيحه (١٧٤٢/٤) تعليقاً، ووصله ابن حجر في التعليل (٢٣٨/٤) من طرق عكرمة وسعيد بن جبير، وممن قال به من المفسرين: الفراء (٣٦٠/٢)، والطبري (١٧٤/١٤)، والزجاج (٢٥٢/٤)، والنحاس في إعراب القرآن (٤٣٣/٢)، وفي معاني القرآن (٥٢٤/٣)، والأزهري في تهذيب اللغة (٢٣٥/١٢)، والواحدي في الوجيز (٦١٩/١)، وابن كثير (٤٨٩/٤) ونسبه لابن عباس في (٥١٣/٦).

(٨) في (ش) زيادة: [أن].

(٩) وممن رجع القول بالاثنتين القدرة والحجة السمرقندي (٢٤٠/٢، ٢٥٦)، وقال الواحدي في الوسيط (٨٤/٣): يعني به سلطان الإغواء، وهو معنى قول المفسرين ليس له حجة، أي لا حجة له على المؤمنين، في إغوائهم ودعائهم إلى الضلالة، فجعل القولين قولاً واحداً.

داخلية في مسمى السلطان^(٢)، وإنما سميت الحجة سلطاناً؛ لأن صاحبها يتسلط بها تسلط صاحب القدرة بيده^(٣)، وقد أخبر سبحانه أنه لا سلطان لعدوه على عباده المخلصين المتوكلين، فقال في سورة الحجر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩) ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠) ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٤١) ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [سورة الحجر: ٣٩-٤٢]. وقال في سورة النحل: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٩٩) ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٩-١٠٠]، فتضمن ذلك أمرين:

أحدهما: نفي سلطانه وإبطاله على (٤) أهل (٥) التوحيد والإخلاص.

والثاني: إثبات سلطانه على أهل الشرك وعلى من تولاه.

ولما علم عدو الله أن الله لا يسلطه على أهل التوحيد والإخلاص قال: ﴿قَالَ فِعْزَنِكَ لِأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة ص: ٨٢-٨٣]، فعلم عدو

(١) وهي الملك والقهر والقوة سواء كان بالإضلال أو الشرك أو المعاصي أو غيرها، ومنه ما نقله قتادة عن الحسن فيما أخرج الطبري (٨٨/٢٢) قال: "والله ما ضربهم بعضاً ولا سيف ولا سوط إلا أمانى وغرور دعاهم إليها"، وقد أخرج ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله برقم (١٣٨) عن سفيان الثوري قال: "ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر"، كما أخرجه عنه الطبري (١٧٤/١٤) وأبو نعيم في الحلية (٧٦/٧)، وقال به مقاتل في تفسيره (٢٠٣/٢)، والإمام أحمد في الرد على الزنادقة والجهمية (١٧)، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (٥٠٤)، والبغوي في تفسيره (٣٨٢/٤) (٣٩/٧)، وابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر (٣٤٥)، والرازي في تفسيره (٨٨/١٩)، والقرطبي (٧٥/١٥)، والخازن (١١٤/٤)، وابن جزي في تفسيره (١٦١/٢).
(٢) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٢٥/١٩): "يوضح ذلك أن السلطان نوعان: سلطان الحجة والعلم، وهو أكثر ما سمي في القرآن سلطاناً، حتى روي عن ابن عباس: أن كل سلطان في القرآن فهو الحجة، والثاني: سلطان القدرة".

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (٩٥/٣)، والمفردات (٢٣٨).

(٤) في (ش): [عن].

(٥) سقط قوله: [أهل] من (ع).

الله أن من اعتصم بالله، وأخلص له، وتوكل عليه؛ لا يقدر على إغوائه وإضلاله، وإنما يكون له السلطان على من تولاه وأشرك مع الله، فهؤلاء رعيته؛ وهو وليهم وسلطانهم^(١) ومتبوعهم.

فإن قيل: فقد أثبت له السلطان على أوليائه في هذا الموضع، فكيف ينفيه^(٢) في قوله:

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) وَمَا كَانَ لَهُ،

عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ﴿[سورة سبأ: ٢٠ - ٢١]؟.

قيل: إن كان الضمير في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ، عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ﴾ عائداً على المؤمنين فالسؤال ساقط، ويكون الاستثناء منقطعاً^(٤)، أي: لكن^(٥) امتحانهم بإبليس لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك^(٥)، وإن كان عائداً على ما عاد عليه في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ﴾ - وهو الظاهر ليصح الاستثناء المنقطع بوقوعه بعد النفي - ويكون المعنى: وما سلطناه عليهم إلا لنعلم من يؤمن [بالآخرة]^(٦). قال ابن قتيبة: "إن إبليس لما سأل الله تعالى النظرة فأنظره قال: لأغوينهم ولأضلنهم^(٧)

(١) في (ع): [سلطانهم ووليهم] بالتقديم والتأخير.

(٢) في (ع): [ينفيه].

(٣) الاستثناء المنقطع هو الذي يكون فيه المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، وهو بمعنى (لكن) عند البصريين، وبمعنى (سوى) عند الكوفيين، فهو للاستدراك لا للتخصيص كالتصل، وبعض النحاة يصفونه بالذي يعرض أو بالذي من غير جنس الأول [انظر: مجالس ثعلب (الجزء الثالث) (١٠١/١)، والأصول في النحو (٢٩٠/١) لابن السراج، والتبصرة والتذكرة (٣٧٩/١) للصيمري].

(٤) (٤٧/ب)

(٥) سقط قوله: [في شك] من (ع)، وهذا القول رجحه السمعاني في تفسيره (٣٣٠/٤).

(٦) في الأصل: [بالله]، والصواب ما أثبتته من النسختين، وهو لفظ الآية الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ، عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ﴾، وهذا القول رجحه الطبري في تفسيره (٨٨/٢٢)، والطاهر ابن عاشور في تفسيره (١٨٣/٢٢).

(٧) في تأويل مشكل القرآن زيادة: [ولأمنينهم].

ولآمرهم بكذا^(١)، ولأخذن من عبادك^(٢) نصيباً مفروضاً، وليس هو في وقت هذه المقالة مستيقناً أن ما قدره فيهم يتم، وإنما قاله^(٣) ظاناً^(٤)، فلما اتبعوه وأطاعوه، صدق عليهم ما ظنه فيهم^(٥)، فقال تعالى^(٦): وما كان تسليطنا إياه إلا لنعلم^(٧) المؤمنين من الشاكين^(٨)"^(٩).

يعني نعلمهم موجودين ظاهرين^(١٠)، فيحق القول ويقع الجزاء، وعلى هذا فيكون السلطان ههنا على من لم يؤمن بالآخرة وشك فيها، وهم الذين تولّوه وأشركوا به؛ فيكون السلطان ثابتاً^(١١) لا منفيّاً، فتتفق هذه الآية مع سائر الآيات.

فإن قيل: فما تصنع بالتي في سورة إبراهيم حيث يقول لأهل النار: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [سورة إبراهيم: ٢٢]، وهذا وإن كان قوله؛ فالله^(١٢) سبحانه أخبر به^(١٣) عنه مقررّاً له لا منكرّاً، فدل^(١٤) على أنه كذلك.

[قيل]^(١٥): هذا سؤال جيد، وجوابه: أنّ السلطان المنفي في هذا الموضع: هو الحجة والبرهان، أي ما كان لي عليكم من حجة وبرهان أحتج به عليكم، كما قال ابن عباس: "ما

(١) في تأويل مشكل القرآن: [ولآمرهم فليغيرن خلق الله].

(٢) في تأويل مشكل القرآن: [ولأخذن منهم].

(٣) في (ع) زيادة: [فيهم].

(٤) في (ع): [ظناً].

(٥) في تأويل مشكل القرآن: [صدق ما ظنه عليهم أي: فيهم].

(٦) في تأويل مشكل القرآن: [ثم قال الله].

(٧) في تأويل مشكل القرآن زيادة: [من يؤمن أي:].

(٨) في (ع): [الشاكين]، وهو خطأ.

(٩) تأويل مشكل القرآن (٣١١).

(١٠) في (ش): [طاهرين].

(١١) في (ش) زيادة: [و].

(١٢) في (ش): [فإنه].

(١٣) سقط قوله: [به] من (ع).

(١٤) في (ش): [يدل].

(١٥) في الأصل: [فقيل:]، والصواب ما أثبتته من النسختين، ليستقيم الكلام، لأنها جواب قوله قبلها: [فإن قيل:].

كان لي من حجة أحتج بها عليكم" (١)، أي: ما أظهرت لكم حجة إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي، وصدقتم مقالي، واتبعتموني بلا برهان ولا حجة.

وأما السلطان الذي أثبتته في قوله: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ [سورة النحل: ١٠٠] فهو تسليطه (٢) عليهم بالإغواء والإضلال، وتمكنه منهم، بحيث يؤزهم (٣) إلى الكفر والشرك، ويزعجهم إليه، ولا يدعهم يتركونه، كما قال تعالى: ﴿الْمُتَرَاتِنًا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُّهُمْ أَزًّا﴾ [سورة مريم: ٨٣]، قال ابن عباس: "تغريهم إغراء" (٤)، وفي رواية: "تشليهم" (٥) إشلاء" (٦)، وفي لفظ: "تحرضهم" (٧) / (٨) تحريضاً" (٩)، وفي (١٠) آخر: "تزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً" (١١)، وفي آخر: "توقدهم" (١)، أي: تحركهم (٢) كما

(١) لم أفق عليه بهذا اللفظ، لكن اخفوظ عن ابن عباس رضي الله عنه من طريقين قوله: "كل سلطان في القرآن فهو حجة"، وسبق تخريجه.

(٢) في النسختين: [تسلطه].

(٣) في (ش): [يوردهم].

(٤) أخرجه الطبري (١٢٥/١٦)، وقال به مقاتل في تفسيره (٣٢٢/٢)، والخليل في العين (٣٩٧/٧)، والملطي في التنبيه والرد (٦٦)، والقرطبي (١٥٠/١١).

(٥) في (ش): [تشليهم]، ومعنى (تشليهم) أي: تدعوهم [انظر: العين (٢٨٥/٦)، وتهذيب اللغة (٢٨٣/١١)، والمحيط في اللغة (٣٨٢/٧)].

(٦) أخرجه الطبري (١٢٥/١٦) عن ابن زيد، ونسبه الأزهري في تهذيب اللغة (١٩٢/١٣) والثعلبي (٢٢٩/٦) وابن كثير (٢٦٢/٥) والسيوطي في الدر المنثور (٥٣٨/٥) إلى مجاهد.

(٧) في (ش): [يحرضهم].

(٨) (أ/٤٨)

(٩) نقل السيوطي في الدر المنثور (٥٣٨/٥) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "تحرض المشركين على محمد وأصحابه"، وذكر ابن كثير (٢٦٢/٥) أن هذه هي رواية العوفي عن ابن عباس، وأما لفظ: "تحرضهم تحريضاً" فلم أفق عليه عند غير ابن القيم.

(١٠) في (ع) زيادة: [لفظ].

(١١) أخرجه الطبري (١٢٥/١٦) والطبراني في مسند الشاميين برقم (٢٥٦٧) وابن عدي في الكامل (٣٧١/٣) عن قتادة، وقال به مقاتل في تفسيره (٣٢٢/٢)، والخليل في العين (٣٩٧/٧)، والفراء في معاني القرآن (١٧٢/٢)، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (٢٧٥)، والواحدي في الوجيز (٦٨٩/٢)، والبغوي (٢٥٥/٥)، وشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٤٤٧/١٠)، وابن جزي في تفسيره (٩/٣)، وابن القيم في طريق المحجرتين (٢٨٩)

يُحرِّكُ^(٣) الماء بالإيقاد تحته، وقال الأخفش^(٤): "توهجهم"^(٥)، وحقيقة ذلك: أن الأزر هو التحريك والتهيج^(٦)، ومنه يقال لغليان القدر: الأزيز^(٧)، لأن الماء يتحرك عند الغليان، ومنه الحديث: ((لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء))^(٨)، قال أبو عبيدة^(٩): "الأزيز:

وبدائع الفوائد (٤٨١/٢).

- (١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥٣٨/٥) إلى نافع بن الأزرق قال: "توقدهم وقوداً".
- (٢) اختاره الحربي في غريب الحديث (٩٨٣/٣)، والطبري (١٢٥/١٦)، وأبو حيان (٢٠٣/٦).
- (٣) في (ش): [تحرك]، وفي (ع): [يتحرك].
- (٤) سعيد بن مسعدة البلخي، مولى بني مجاشع بن دارم بطن من تميم، أبو الحسن البصري، إمام اللغة، تلميذ سيبويه، وكان أسن منه، وإذا أطلق الأخفش فينصرف إليه، واشتهر بالأخفش الأوسط، توفي سنة (٢١٥)هـ [انظر: معجم الأدباء (٣٨٢/٣)، ووفيات الأعيان (٣٨٠/٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٠٦/١٠)].
- (٥) في (ش): [يوهجهم]، ولم أجد في معاني القرآن للأخفش، ونسبه له الثعلبي (٢٢٩/٦)، وقال ابن المنذر في الأوسط (٢٥٥/٣): "تدفعهم وتسوقهم"، وقال النحاس في معاني القرآن (٣٦١/٤) -بعد ذكره لثلاثة أقوال- : وهذه الأقوال متقاربة المعاني"، وقال ابن القيم في شفاء العليل (٦٢): "وعبارات السلف على هذا المعنى" يعني معنى التحريك والتهيج.
- (٦) انظر: جوهرة اللغة (٥٦/١)، ومعجم مقاييس اللغة (١٣/١)، والمحكم (٧٠/٩).
- (٧) انظر: الصحاح (٨٦٤/٣)، معجم مقاييس اللغة (١٤/١)، ولسان العرب (٣٠٧/٥)، وكذا يطلق الأزيز على النشيش وعلى صوت الرعد كما في: العين (٣٩٨/٧)، والصحاح (٨٦٤/٣)، وتهذيب اللغة (١٩٢/١٣)، ولسان العرب (٣٠٧/٥)، ويطلق على شدة السير وعلى القر الشديد وهو البرد الشديد كما في معجم مقاييس اللغة (١٤/١).
- (٨) أخرجه من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه النسائي في كتاب السهو باب البكاء في الصلاة ح (١٢١٤)، والإمام أحمد في المسند ح (١٦٣٥٥)، وابن المبارك في الزهد ح (١٠٩)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (١٣٦)، والترمذي في الشمائل ح (٣٢٣)، والنسائي في الكبرى ح (٥٤٤)، وأبو يعلى ح (١٥٩٩)، وابن خزيمة ح (٩٠٠)، وابن المنذر في الأوسط ح (١٦٠٤)، وابن حبان ح (٦٦٥)، والحاكم في المستدرک ح (٩٧١)، وتمام في فوائده ح (١٦١٩)، وأبو نعيم في الحلية (٢١١/٢)، وفي معرفة الصحابة ح (٤٢١٧)، والبيهقي في الشعب ح (٧٧٤)، وفي الكبرى ح (٣١٧٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩٠/٥٨)، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، وقال النووي في رياض الصالحين ح (٤٥٠): "حديث صحيح"، وقال ابن رجب في فتح الباري (٢٤٥/٤): "وهذا الإسناد على شرط مسلم"، وقال ابن حجر في فتح الباري (٢٠٦/٢): "وإسناده قوي"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح (٥٤٤)، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب البكاء في الصلاة ح (٩٠٤) لكن بلفظ ((كأزيز الرحي)) وكذا أخرجه البيهقي في الشعب ح (٢٠٤٨) وفي الكبرى ح (٣١٧٣)، قال الألباني في صحيح أبي داود ح (٨٣٩): "وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم؛ غير عبد الرحمن بن محمد بن سلام - بالتشديد - وهو ثقة وقد توبع".

الالتهاب^(٢) والحركة^(٣)، كالتهاب النار في الحطب، يقال: أُرِّقَ قَدْرُكَ، أي: أُلْهِبَ تحتها بالنار، وَأُتْنَزَّتِ^(٤) القدرُ، إذا اشتد غليانها^(٥)، فقد حصل للأزَّ معنيان: أحدهما: التحريك، والثاني: الإيقاد والإلهاب، وهما متقاربان، فإنه تحريك خاص بإزعاج وإلهاب.

فهذا من السلطان الذي له على أوليائه وأهل الشرك، ولكن ليس له على ذلك سلطان حجة وبرهان، وإنما استجابوا له لمجرد دعوته إياهم لما وافقت أهواءهم وأغراضهم، فهم الذين أعانوا [على]^(٦) أنفسهم، ومكَّنوا عدوهم من سلطانه عليهم بموافقته^(٧) ومتابعته، فلما أعطوا بأيديهم واستأسروا له سُلِّطَ عليهم؛ عقوبة لهم، وبهذا يظهر معنى قوله سبحانه: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٤١] فالآية على عمومها وظاهرها، وإنما المؤمنون يصدر^(٨) منهم من المعصية والمخالفة التي تُضَادُّ الإيمان ما يصير به للكافرين عليهم سبيلاً بحسب تلك المخالفة، فهم الذين تسببوا إلى جعل السبيل عليهم، كما تسببوا إليه^(٩) يوم أُحد بمعصية الرسول ومخالفته^(١٠).

(١) معمر بن المثنى، أبو عبيدة التيمي مولاهم، إمام العربية، ثقة روى عن رؤية بن العجاج، وروى عنه قيس بن حفص وعمر بن شبة النميري، وأبو عبيد القاسم بن سلام، توفي سنة (٢١٠) هـ وقد قارب المائة سنة [انظر: الكنى والأسماء (٥٩١/١) للإمام مسلم، والجرح والتعديل (٢٥٩/٨)، والثقات (١٩٦/٩) لابن حبان].

(٢) في (ع): [الإلهاب].

(٣) انظر: غريب الحديث (٢٢١/١) لأبي عبيد، والأوسط (٢٥٥/٣).

(٤) في (ع): [وأثرت].

(٥) ممن نقله عن أبي عبيدة: الحربي في غريب الحديث (٩٨١/٣)، والأزهري في تهذيب اللغة (١٩٢/١٣)، وابن منظور في لسان العرب (٣٠٧/٥)، وابن القيم في شفاء العليل (٦٢).

(٦) زيادة من النسختين، سقطت من الأصل، ولا بد منها ليستقيم الكلام.

(٧) في (ش): [لموافقته].

(٨) في (ش): [تصدر].

(٩) في (ش): [إلى].

(١٠) دل على هذا قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَوَصَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَّانَكُمْ أَنَّ تُجِبُوا ۖ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ اللَّهُ نِيكَ

وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٢]، ثم قال سبحانه بعدها ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى

والله سبحانه لم يجعل للشيطان على العبد سلطاناً، حتى جعل له العبد سبيلاً إليه؛ بطاعته والشرك به، فجعل (١) الله حينئذ له عليه تسلطاً (٢) وقهراً، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

فالتوحيد والتوكل والإخلاص يمنع سلطانه، والشرك وفروعه يوجب سلطانه (٣)، والجميع بقضاء من أزمّة الأمور بيديه (٤)، ومردّها إليه، وله الحجة البالغة؛ فلو (٥) شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولكن أبت حكمته وحمده وملكه إلا ذلك ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿[سورة الجاثية: ٣٦-٣٧].

الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿[سورة آل عمران: ١٥٥].

(١) في (ع): [فيجعل].

(٢) في (ع): [تسلطاً].

(٣) فإن التوحيد يطرد الشيطان، ودلّ على هذا آية سورة الحجر وسورة النحل التي أشار إليهما ابن القيم آنفاً، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٢٢/٨) (٥٠/١٠) (٢٩٣/١١) (٣٣٢/١٤).

(٤) في (ش): [بيده].

(٥) في (ع) زيادة: [شاء لهداكم أجمعين ولو].